

ما أكثر الضبيج وما أقل العبيج

الشيخ فتحي أحمد صافي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:-

فليس كل أمناء الأفواج أمناء وليس كل الحجاج حجاج.. إن الطريق
واضح المعالم لا لبس فيه فعلام الإنحراف إن كنت جاهلاً فهالك
نصيحة وإن كنت مسوفاً فالطريق لها نهاية مهما طالت..

فتحي أحمد صافي

أمناء الأفواج

كان الوقت يميل إلى الغروب عندما بدأت نسيمات لطيفة ترتطم بالجبل الشامخ، ومن شرفة عالية مطلة على مدينة دمشق كنت أراقب المساء وهو يخيم على المدينة القديمة الحديثة وبدا شبح رجل يصعد الجبل من طريق ترابي صخري.. وصل لاهثاً وارتمى على الأرض يلتقط أنفاسه وبدأ بسعال كاد يشق صدره وحنجرته..

بعد قليل وبعد أن غسل وجهه ويديه وأسند ظهره إلى درج صخري قال: مشكلة يا شيخ!؟.. وفتحت عيني أكثر من المعتاد ورفعت حاجبي إشارة الاهتمام والاصغاء ..

أكمل الرجل المتعب حديثه وقال: لي صديق حميم توفي منذ شهر تقريباً وقبل وفاته بأيام أرسل في طلبي وأعطاني مبلغاً من المال يس بالقليل قد جمعه من الحرام من السرقة والغش والسلب والنهب وهو يعلم أنه سيلقى الله عز وجل ويريد أن يتخلص من هذا المال النجس وقال له العلماء إن الصدقة به لا تجوز فأوصاني أن أدفعه لرجل لا يخاف من الله وأمواله كلها حرام... سكت الرجل وهو ينظر في عيني التي ارتسمت فيهما الدهشة ثم قال:

ذهبت إلى الخمارة فإذا بالسكارى يترنحون على أنغام أغنية قديمة فدخلت ورفعت صوتي ليسمعه الجميع: هل يوجد أحد هنا لا يخاف من الله؟؟ فارتفعت الأصوات محتجة ونهض البعض ليشاجر معي

لشعوره بالإهانة من وصفه بعدم الخوف من الله وإثباتاً لربه ولنفسه
وللحاضرين أنه ممن يخافون من الله.

قال الرجل: وذهبت إلى وكر للقمار في أحد البيوت القديمة
المتراكبة ورمقتني بعض العيون والأكثر لم ينتبه لدخولي فالعيون
محدقة إلى قطعتي زهر تدور في كأس صغيرة وتدور معهما دنياهم
وأموالهم ومستقبل أطفالهم.. كان كلما رمى أحدهم بالزهر يصبح
من صميم قلبه: الله ونهضت من مكاني وغادرت بدون أن أسأل
أحدًا...

وقال الرجل: ثم دخلت بيتاً يدار فيه الحشيش وجلست بجانب
صاحب البيت فرحب بي ترحيباً اطمأن فيه الجالسون لوجودي
وأكمل حشاش حديثه الذي انقطع بدخولي: يقول الشيوخ إن رحمة
الله يوم القيامة تعم أهل الموقف حتى إن إبليس يطمع أن تشمله
رحمة الله .. فاهتز المسطولون طرباً وهنقوا بصوت خافت: - الله -

وقال الرجل: احترت يا شيخ وأريدك أن ترشدني إلى من لا يخاف
من الله!!...

ونظرت في عيني الرجل وأمسكت يديه وقلت له: هل تريد أن ترى
رجلاً لا يخاف من الله؟؟.. قال: نعم.

قلت اذهب إلى أمناء أفواج الحج الذين يتركون حجاجهم في
الشوارع في مكة والمدينة بدون سكن ولا يرشدون حجاجهم إلى
المناسك والمشاعر ويبتزون أموالهم بغير وجه حق بالدعايات
الزائفة والوعود الكاذبة اذهب إليهم وادفع لهم المال فقد نفذت

الوصية.. نهض الرجل إلى ضالته مسرعاً وقد انبسطت أساريه
وهروا لئلا يئذل الأمانة عن كاهله .. وغاب في منعطفات الطريق...

الحجاج

الحج فرض على المستطيع وهو ركن من أركان الإسلام وله ميزة
بأنه عبادة كلامية بدنية مالية. يَجِبُ الذنوب فيخرج الإنسان من هذه
الطاعة كيوم ولدته أمه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول: مَنْ حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم
ولدته أمه (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: الحج والعمارة وفدُ الله إن دَعَوْهُ أجابهم وإن استغفروه غَفَرَ
لهم. (٢).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: العُمرة
إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا
الجنة. (٣).

^١ رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي إلا أنه قال: غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه.

^٢ رواه النسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما.

^٣ رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

هل تريد أن يشملك عطاء الله وأنت تقوم بأداء فرض الحج؟؟.. إذا
لا تتصور أن ترحل بذنوبك ثم تعود بها..

إبدأ بتوبة صادقة والندم توبة فأظهر ندمك على سجادة الصلاة فيا
للأسف على حجاج عادوا بعد الحج ولم يُصَلُّوا بعد!!

وأكثر من الاستغفار في الأسفار في ساعة التجلي الأعظم وأقلع
عن جميع معاصيك واعزم على عدم العودة إليها ثم رد المظالم إلى
أهلها وإلا فما معنى أن تقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع لحقوق
الناس آكلٌ لها وكل خصم لك ممسك بتلابيبك يقول لك: أعد إليّ
حقي أما تستحي أن تقصد المولى بها، أما تخشى أن يردك ولا
يقبلك!!

في الأرياف يأكلون ميراث أخواتهم البنات حتى الكثير من شيوخهم
وأئمة مساجدهم يفعل ذلك ولو علموا أن أنس بن مالك رضي الله
عنه حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من فر بميراث
وارث قطع الله ميراثه من الجنة (١). لعلوا ما ينتظرهم يوم القيامة
وتراه يشد الرحال إلى الديار المقدسة وقد خالف وصية الله فالله جل
جلاله يقول: وصية من الله والله عليمٌ حلیم.

وفي المدن يستولون على بيوت الأجرة بغياً بغير حق والله سبحانه
وتعالى يقول: إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في
الأرض بغير الحق أولئك لهم عذابٌ أليم. وبعد ذلك تراه متجهاً
لأداء فريضة الحج وهو مقيم على ما هو عليه.

واقض ديونك قبل سفرك للحج ف قضاء الدين عند الله أفضل من حجك فأنت غير مستطيع ومعدور عند الله ولكن إذا حججت وأنت مديون ولم يأذن لك الدائنون فأنت ظالم وأي شيء للظالم من الحج.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلٍّ فَلْيَتَّبِعْ.** (٢).

وروي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بجنابة ليصلي عليها قال: هل عليه دين؟ قالوا: نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن جبريل نهاني أن أصلي على من عليه دين فقال: إن صاحب الدين مرتهن في قبره حتى يقضى عنه دينه (٣)..

واستصحب المال الحلال لنفقتك في الحج فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا خرج الحاج حاجاً بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك زادك حلال وراحتك حلال وحجك مبرور غير مأزور ، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجم مأزور غير مبرور (٤).

(فلا تخرج أخي الحاج بمال الرشوة والغش والسرقة) والتمس صاحباً صالحاً محباً للخير معيناً عليه متديناً ملتزماً يدلك على أوجه العبادة والخير فالصاحب صاحب.

واستسمح جيرانك وأقاربك واعتذر إليهم عما كان منك وصافي أصحاب الأحقاد والعداوات وتحلل ممن اغتبهته وشتمته وحاول أن

تذهب للديار المقدسة بدون أن تترك وراءك إنساناً ساخطاً عليك
متألماً من جرح وجهته إليه يوماً.

فإذا خرجت بالنفقة الطيبة ورددت المظالم وتحللت من الحقوق
وتوجهت إلى الحرمين الشريفين والمواقف والمناسك والمشاعر
عليك أن لا تمدن عينيك إلى نساء غيرك ولا يدك إلى حقائب
الحجاج.. كل عين باكية يوم القيامة إلا عيناً غضت عن محارم الله،
والسيئة بمائة ألف والحسنة بمائة ألف حتى إذا فقدت نعلك على
أبواب الحرم فإياك أن ترتدي عوضاً عنه من النعال الملقاة بجانب
الأبواب بل اشترى غيره وامض في عبادتك.

ولا تكن سليط اللسان في الحج فمن فرض فيهن الحج فلا رفت ولا
فسوق ولا جدال في الحج، عليك بالصمت ولا تتكلم إلا بخير كن
مؤدباً لطيفاً عفيفاً كريماً.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال: الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، قيل: وما برُّه؟
قال: إطعام الطعام وطيب الكلام (٥).

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه البخاري ومسلم ومعنى المطل تأخير الحق وتسويق دفعه لدانته والغني هو القادر على
وفاء الدين بعد استحقاقه وظلم أي حرام عليه وقوله ظلم أي من الكبائر والجمهور على أنه
فاسق.

(٣) رواه أبو يعلى والطبراني وهذا كان في أول الرسالة ترهيباً للذي يأخذ ولا يفي.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط والأصبهاني من حديث اسلم مرسلًا.

(٥) رواه أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي والحاكم
مختصراً وقال: صحيح الإسناد.

ما أكثر الضجيج وما أقل الحجيج

كن من القلائل.

سمعت من أحد الشيوخ عن الشيخ محمود بعيون الرنكوسي عن
الشيخ أبي الخير الميداني عن الشيخ سليم المسوتي أنه قال:

حجبت البيت لبيتك لم تحجّ كاد البيت من حجك أن يهجّ

ذهبت بعدلٍ من ذنوبٍ ورجعت بعدلٍ وخُرج

ويعود الحجاج إلى بلادهم فترى الزينات بانتظارهم من تحطيم
الأشجار وبعضهم سرق من كهرباء الشارع!

ويمكث الحاج في بيته ثلاثة أيام والعراضات الصاحبة تتوالى أمام
بيته فترى الشباب في أزيائهم الفلكلورية بالسراويل الفضفاضة
المزركشة والقمصان المخططة والنعال الحلبية يلعبون بالسيوف
على إيقاع الطبول والنساء على الشرفات والنوافذ والأبواب كأنهن
اللعب لكثرة المكياج يزغردن ليرفع الرجال أبصارهم إليهن ففي
الحفلات يسمح بتبادل النظرات والإبتسامات، ويدب الحماس في
الجهال فتشهر الأسلحة وترى البنادق والمسدسات بأيدي الشباب
وتصم الآذان من أصوات الرصاص هذا إذا لم يصب أحد، وما
أكثر الحوادث التي نشهدها ومع ذلك لم يرتدع معظم الناس عن
إطلاق النار.

والوليمة سنة ولكن شتان بين طعام صنع من أجل إقامة السنّة وبين طعام صنع رياء وسمعة وتفاخراً.

وترى أكثر الحجاج يعودون بعد فرض الحج أشد شراة وحباً للدنيا.. لقد تغيروا ولكن للأسوأ وكأن لسان حاله يقول: أنا حاج. ز يعني يكفي .. حاج لهون وبس..، يقولون في أمثالنا العامية إذا حج جارك بيع دارك وإذا حج حجتين بيع دارك بالدين.. وتوصي النساء بعضهن: من الحجى هجي مع أنه قد ورد بأن الحج المبرور هو الذي لم يرتكب بعده معصية.

حج النساء

وما أدراك ما حج بعض النساء!!

هذه تراها خرجت إلى الحج من أجل فرصة زواج وتلك تراها متبرجة في عرفات والمشاعر وترجمُ إبليسَ بالحجارة وإبليس يقول لها: حتى أنتِ؟! وتعود بعض النساء من الحج بدون حجاب وللاختلاط بالرجال وإقامة الحفلات في الفنادق الفخمة يرقصن ويغنين شكراً لله لتوفيقهن في أداء فريضة الحج!!.

يقدمون لك امرأة متبرجة متعطرة مكشوفة الرأس والساق: الحجة فلانة!!! أحياناً أسأل نفسي هل يوجد حج في غير السعودية؟ أم أنها كانت فعلاً في الديار المقدسة!!

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: هي هذه الحجة ثم الجلوس على ظهر الحُصْرِ في البيوت. (١)

أمر النبي صلى الله عليه وسلم النساء أن يحجن أي يؤدين فريضة الحج ثم يلزمن بيوتهن ويقرن في منازلهن فلا يخرجن لسوى أعمال الحج ويجلسن على الحصر.. مسألة اجتماعية عمرانية يقررها رسول الرحمة وطبيب النفوس صلى الله عليه وسلم أن يبيح للسيدات الذهاب إلى أداء فريضة الحج فقط وغير ذلك يحافظن على الجلوس على ظهور الحصر خوف الفتنة ومنعاً للاختلاط وتقريباً لسعادة الزوجين وجلباً لصفاء مودتهما.

وتقول الفاضلتان الورعتان السيدة زينب والسيدة سودة: والله لا تحركنا دابة بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذه ثم ظهور الحصر. (٢).

بخٍ بخٍ .. أدبٌ نبوي وكمال فطري يدعو إليهما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تلزم المرأة بيتها وتحفظ عرضها وتصون سيرتها وتستكن في خدرها فبعد أن خرجت لأداء الحج تحوطها المهابة ويشملها الإجلال ويغمرها إحسان الله ورعايته تعود كالملائكة إن كان لها عمل أدته ضمن ما تسمح به تعاليم الدين إن برَّ امرأة خير من عبادة ألف عابد، وإن فجور امرأة أشد من فجور

ألف فاجر، فطوبى لمن كان حجه مبروراً وسعيه مشكوراً أذاه كما
أمر الله وحافظ عليه إلى منتهاه لا دنس ولا إساءة.
نسأله جل جلاله العوده والتوفيق إنه سميع قريب مجيب والحمد لله
رب العالمين.

(١) رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى ورواته ثقات.

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن.